﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣﴾ [آل عمران: 103]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا أمرَ اللهُ تعالى في الآيةِ السَّابقةِ عبادَه المؤمنينَ بتمامِ التَّقْوى؛ جاءَ بيانُ اللهِ تعالى في هذه الآيةِ الكريمةِ ليدُلَّ المؤمنينَ على بعضِ سُبُلِ تحقيقِ التَّقْوى: بالاعتصامِ بدينِ الله، وعَدَمِ التَّفرُّق، وتَذكُّرِ نعمةِ اللهِ عليهم بتأليفِ قلوبِهم على الأُخُوَّةِ الإيمانيَّة، وإنقاذِهم من الكفرِ المُسَبِّب لدخولِ النَّار، وهذه كلُّها آياتٌ مُوجبةٌ للهدايةِ بأمرِ اللهِ ورحمتِه.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿بِحَبۡلِ ٱللَّهِ﴾: الحَبْلُ معروفٌ، قالَ ﷻ: ﴿فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ٥﴾ [المسد: 5]، وشُبِّه به من حيثُ الهَيْئَةُ حَبْلُ الوريدِ وحَبْلُ العاتِق، والحَبْلُ: المستطيلُ من الرَّمل، واسْتعيرَ للوَصْلِ، ولكلِّ ما يُتوصَّلُ به إلى شيء، ومنه قولُه ﷻ في الآيةِ الَّتي معنا: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا﴾، فَحَبْلُه سُبحانه وتعالى هو الَّذي معه التَّوصُّلُ به إليه من القرآنِ والعقل، وغيرِ ذلكَ ممَّا إذا اعْتَصمَ به العبدُ؛ أدَّاه إلى مرضاةِ الله.

ويُقالُ للعَهْد: حَبْلٌ، ويمكنُ أنْ يَصدُقَ هذا المعنَى على قولِه تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ﴾[1]، فعهدُ اللهِ يجب أنْ يُوفَّى بعبادةِ اللهِ وحدَه دونَ سواه، والتزامِ دينِه وقرآنِه وسُنَّةِ نبيِّه ﷺ، قالَ ﷻ: ﴿أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ﴾ [يس: 60]، وقالَ ﷻ: ﴿وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمَۢا ١٠﴾ [الفتح: 10].

2) ﴿فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ﴾: الإلْفُ: اجْتماعٌ معَ الْتِئام، وهو المرادُ هنا في الآية، يُقالُ: ألَّفتُ بينَهم، ومنه: الأُلْفَةُ، ويُقالُ للمَألوف: إِلْفٌ وأَلِيفٌ، وبمعنَى الإلفِ يكونُ المؤَلَّفُ: وهو

(1) الرَّاغب، المفردات: (حبل).

ما جُمِعَ من أجزاء مُختلفة، ورُتِّبَ ترتيبًا قُدِّم فيه ما حقُّهُ أنْ يُقدَّم، وأُخِّرَ فيه ما حقُّهُ أنْ يُؤخَّر، ومنه: الكتابُ المؤلَّف، أي: الَّذي جُمعتْ كلماتُه في السُّطور، وضُمَّ بعضُها إلى بعض، وجُمعتْ كذلكَ المعلوماتُ فيه، فقُدِّمَ منها ما حقُّه التَّقديم، وأُخِّرَ منها ما حقُّه التَّأخير[1].

3) ﴿شَفَا حُفْرَةٍ﴾: شَفَا البِئْرِ وغَيْرِها: حرفُه، ويُضرَبُ به المثلُ في القُربِ من الهَلاك، كما في الآيةِ الَّتي معنا في قولِه تعالى: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾، وأَشْفَى فلانٌ على الهَلاك، أي: حصَلَ على شَفاه، ومنه اسْتُعيرَ قولُهم: ما بقيَ من كذا إلَّا شَفًا، أي: قليلٌ كَشَفَا البِئْر.

وتَثنيةُ شَفَا: شَفَوَان، وجمعُه أشْفاء، ومنه سُمِّيَ الشِّفاءُ من المرَض، أي: موافاةُ شَفَا السَّلامة، أي: قُربُها، وصارَ اسْمًا للبُرْء[2].

4) ﴿فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾: الإنْقاذُ: التَّخليصُ من وَرْطَة، وأَيُّ وَرْطةٍ أشَدُّ وَطْئًا وعذابًا من النَّار؟ كما في الآيةِ الَّتي معنا في قولِه تعالى: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾.

والنَّقْذُ: ما أَنْقَذْتَه، وفَرَسٌ نَقيذٌ: مأخوذٌ من قومٍ آخرينَ، كأنَّه أُنقِذَ منهم، وجمعُه: نَقَائِذ[3].

❁ المَعْنَى الإِجْمَاليُّ:

لَمَّا أمرَ اللهُ عبادَه المؤمنينَ في الآيةِ السَّابقةِ بتمام التَّقوى والثَّباتِ حتَّى الممات، جاءَ البيانُ الإلهيُّ في هذه الآية، يأمرُ اللهُ فيه عبادَه المؤمنين بوجوبِ التَّمسُّكِ بدينِه واجْتماعِ الكلمةِ عليه، ويذكِّرُهم بنِعَمٍ ربَّانيَّةٍ جليلةٍ تَواردتْ عليهم، وهي تأليفُ قلوبِهم على الأُخُوَّةِ الإيمانيَّة بعدَ أنْ كانتْ مُتعاديةً مُتنافرة، ولولا هذه النِّعمةُ الإيمانيَّةُ الرَّبَّانيَّةُ؛ لكانوا على وَشْكِ الوُقوعِ في النَّارِ يومَ القيامة، وهذه النِّعمُ آياتٌ بيِّناتٌ ساقَها اللهُ إليهم هدايةً لهم، وإنْقاذًا لهم من مصيرٍ مَشْؤومٍ كانَ ينتظرُهم.

(1) الرَّاغب، المفردات: (ألف).
(2) الرَّاغب، المفردات: (شفا).
(3) الرَّاغب، المفردات: (نقذ).

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

الاسْتعارةُ، وأثرُها في إثراءِ المعنَى:

قولُه تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾.

أفـــــادتِ الاسْتعارةُ تقويةَ معنَى الاعْتصامِ بـــديـــنِ الـلـــهِ واجْتماعِ الأُمَّةِ عليه

هذا القولُ منه سُبحانَه وتعالى في وجوبِ الاعْتصامِ بحبلِهِ تعالى تمثيلٌ لاسْتظهارِه به ووُثوقِه بحمايتِه بامْتساكِ المُتدلِّي من مكانٍ مُرتفعٍ بحبلٍ وثيقٍ، يأمَنُ انْقطاعه من غيرِ اعْتبارِ مجازٍ في المُفْرَدات.

والحبلُ: اسْتعارةٌ لعهدِه والاعْتصامِ لوُثوقِه بالعَهْد، أوْ أنْ يكونَ تَرْشيحًا لاسْتعارةِ الحبلِ[1] بما يناسبُه، فهي استعارة تصريحيَّة حُذف فيها المُشبَّه: وهو العهد، وذُكر فيها المُشبَّه به: وهو الحبل، والمعنَى: واجْتَمِعوا على اسْتعانتِكم باللهِ ووُثوقِكم به، ولا تَفرَّقوا عنه، أوْ: واجْتمِعُوا على التَّمسُّكِ بعهدِه إلى عبادِه، وهو الإيمانُ والطَّاعة، أوْ بكتابِه[2] لقولِ النَّبيِّ ﷺ: "إنِّي تاركٌ فيكم كتابَ اللهِ، هو حَبْلُ اللهِ: مَنْ اتَّبعَهُ؛ كان على الهُدَى، ومَنْ تَركَهُ؛ كان على الضَّلالة"[3].

وقولُه: ﴿جَمِيعًا﴾ حالٌ من فاعلِ ﴿وَٱعْتَصِمُواْ﴾، أي: مُجتمعِينَ في الاعْتصام، وهنا يَتجلَّى تمامُ البلاغة، حيثُ لم يردِ الأمر بالاعْتصامِ لكلِّ مُسلمٍ في حالِ انْفرادِه اعْتصامًا بهذا الدِّين؛ بل أرادَ الأمرَ باعْتصامِ الأُمَّةِ جميعِها، ويَحْصُلُ في ضِمْنِ ذلكَ أمرُ كلِّ واحدٍ بالتَّمسُّكِ بهذا الدِّين، فالكلامُ أمرٌ لهم بأن يكونُوا على هاتِه الهيئة.

---

(1) الاسْتعارةُ المرشَّحة، أو الاسْتعارةُ التَّرْشيحيَّة: وهي أقوى أنواع الاستعارة وأكثُرها مبالغة، ولأنَّ الاستعارةَ فيها تقوم على تناسي التَّشبيه، وذكر ما يُلائم المشبَّه به، وهو (اللَّفظُ المستعار) الَّذي يساعد على تناسي التَّشبيه، وأصلُ التَّرشيح في الاصطلاح: هو أن يُذكرَ في الكلام ما يُناسبُ المشبَّه به، وهو المستعارُ في أسلوب الاستعارة، والتَّرشيحُ وصفٌ عارضٌ للاستعارة، ولا يدخل في عناصرها الأوَّليَّة المكوِّنة لها، وهو ليس بلازم فيها، وإنَّما رُشِّحَ، وليقوِّيَ الصُّورة البلاغيَّة، ينظر: ابن حِجَّة، خزانة الأدب، ص: 49، والزَّركشي، البرهان: 3/428.

(2) الزَّمخشري، الكشَّاف: 1/450.

(3) مسلم، صحيح مسلم، الحديث رقم: (2408).

وسواء أكانتِ الاسْتعارةُ اسْتعارةَ الاعْتصامِ للتَّوثيق بالدِّين وعُهودِه، وعدمِ الانْفصالِ عنه، أم اسْتعارةَ الحَبْلِ للدِّين والعُهودِ المَبنيَّةِ عليه؛ فإنَّ كلًّا من الاسْتعارتَيْنِ ترشيحٌ للأُخْرَى؛ لأنَّ مبنَى التَّرشيحِ على اعْتبارِ تقويةِ التَّشبيهِ في نَفْسِ السَّامع، وذلكَ يحصُلُ له بمجرَّد سماعِ لَفْظِ ما هو من مُلائماتِ المُستعار، بقَطْعِ النَّظَرِ عن كَوْنِ ذلكَ الملائمِ مُعتبرَة فيه استعارة أُخْرى؛ إذْ لا يَزيدُهُ ذلكَ الاعْتبارُ إلَّا قُوَّة.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾، الأصلُ: (تتفرَّقوا) وهو تأكيدٌ لمضمون: اعْتصِموا جميعًا، ويمكنُ أنْ يكونَ ذا دَلالةٍ على طلبِ الاتِّحادِ في الدِّين، وهو الإسلام، كما قالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران: 19]، وفي الآيةِ دليلٌ على أنَّ الأمرَ بالشَّيء يَستلزِمُ النَّهيَ عن ضدِّه[1].

وجوهُ الإعراب، وأثرُها في جلاءِ المعنَى وإثْرائِه:

أفادتْ وجوهُ الإعرابِ عِظَمَ مِنَّةِ اللهِ على المؤمنينَ في إخراجِهم من دَرَكِ الشَّقاءِ وظلامِه إلى نعيمِ الإيمانِ ونورِه

قولُهُ تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ تصويرٌ لحالِهمُ الَّتي كانوا عليها؛ ليحصُلَ من اسْتفظاعِها انْكشافُ فائدةِ الحالةِ الَّتي أُمِروا بأنْ يكونوا عليها، وهي الاعْتصامُ جميعًا بجامعةِ الإسلامِ الَّذي كان سببَ نجاتِهم من تلكَ الحالةِ المُزريةِ من التَّفرُّقِ والعَداوةِ، وفي ضِمْنِ ذلكَ تذكيرٌ بأعظمِ نعمةٍ مَنَّ اللهُ عليهم بها، الَّتي كانت الأساسَ الَّذي بُنِيَتْ عليه جميعُ النِّعمِ المُتواليةِ عليهم، ألَا وهو دينُ الإسلام، وفي ذلكَ تحريضٌ لهم على إجابةِ داعي اللهِ لهم، بالاتِّفاقِ والالْتفافِ حولَه والسَّيْرِ على مَنْهجِه وسُنَّتِه، كما قالَ تعالى: ﴿يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ﴾ [الأحقاف: 31]، وهذه المِنَّةُ والتَّذكيرُ بها، ليس خاصًّا بالصَّحابةِ ﷺ بل هو مُستمِرٌّ لسائرِ المسلمينَ إلى يومِ الدِّين، فلو لم يكن ذلكَ كذلكَ؛ لبقيتِ العداوةُ في الأجيالِ المُتعاقبة، ولَبقيَ المصيرُ على شَفَا حُفْرةٍ من النَّار[2].

وقولُه تعالى: ﴿نِعۡمَتَ ٱللَّهِ﴾: في إسْنادِ النِّعمةِ إلى اللهِ تشريفٌ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/31 - 32.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/32.

لها وللمُنْعَم عليهم، وزادَ هذا المعنَى قُوّةً ذكرُ الاسْمِ الظَّاهرِ للفظِ الجلالة ﴿ٱللَّهِ﴾ ودونَ إعادتِه بالضَّمير، وهو مصدرٌ مُضافٌ إلى الفاعل، وقولُه: ﴿عَلَيْكُمْ﴾ مُتعلِّقٌ به أو بمحذوفٍ وقع حالًا منه.

وقولُه: ﴿إِذْ كُنتُمْ﴾ ظرفٌ للنِّعمة، أو للاسْتقرارِ في ﴿عَلَيْكُمْ﴾؛ إذا جُعِلَ حالًا، أي: اذْكروا إنعامَه عليكم، أو اذْكروا إنعامَهُ مُسْتقرًّا عليكم حالَ كونِكم ﴿أَعْدَآءً﴾ في الجاهليَّة، والظَّرفيَّةُ مُعتبَرٌ فيها التَّعقيبُ من قولِه: ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾؛ إذِ النِّعمةُ لم تكنْ عندَ العَداوة، ولكنْ عندَ حصولِ التَّأليفِ عَقِبَ تلكَ العَداوة.

قولُه تعالى: ﴿فَأَصْبَحْتُم﴾، فيها وجهان:

الأوَّلُ: أنْ تكونَ ناقصة، وعلى هذا يجوزُ أنْ يكونَ خبرُها ﴿بِنِعْمَتِهِۦٓ﴾، فيكونَ المعنى: فأصبحتُم في نعمتِه، أوْ مُتلبِّسينَ بنعمتِه، أو مَشْمولينَ بنعمتِه.

و﴿إِخْوَٰنًا﴾ على هذا حالٌ يعملُ فيها (أصبحَ) أو ما يتعلَّق به الجارُّ، ويجوزُ أن يكونَ ﴿إِخْوَٰنًا﴾ خبرَ (أصْبحَ)، ويكونَ الجارُّ هنا حالًا يعملُ فيه (أَصْبحَ)، أو حالًا من ﴿إِخْوَٰنًا﴾؛ لأنَّه صفةٌ له قُدِّمتْ عليه، وأنْ يكونَ مُتعلِّقًا بـ (أصبحَ)؛ لأنَّ (أصبحَ) النَّاقصةَ تعملُ في الجارِّ، ويجوزُ أن يتعلَّق بـ ﴿إِخْوَٰنًا﴾؛ لأنَّ التَّقدير: تَـآخَيْـتُم بنعمتِه.

الوجهُ الثَّاني: أنْ تكونَ تامَّة، ويكونُ الكلامُ في ﴿بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ قريبًا من الكلامِ في النَّاقصة[1].

وقولُه: ﴿بِنِعْمَتِهِۦٓ﴾ الباءُ فيه للملابَسة، بمعنى: (معَ)، أي: أصبحتُم إخوانًا مُصاحبينَ نعمةً من اللهِ، وهي نعمةُ الأُخُوَّةِ الإيمانيَّة.

الاستعارةُ، والإشارةُ، وأثرُهما في تجليةِ المعنَى وإثْرائه:

هذا القولُ عطفٌ على قولِه: ﴿كُنتُمْ أَعْدَآءً﴾، فهو نعمةٌ أُخْرَى، وهي نعمةُ الإنْقاذِ من النَّار، وقولُه: ﴿شَفَا حُفْرَةٍ﴾ هنا تمثيلٌ لحالهم في الجاهليَّة حيثُ كانوا على وَشكِ الهلاك، واخْتيارُ الحالةِ المُشبَّهِ بها هنا؛ لأنَّ النَّارَ أشدُّ المهلِكاتِ إهلاكًا، وأسرعُها إنْهاءً، ومناسبةُ

أفـــادَ نـظـمُ السِّياق رحمةَ اللـهِ الواسعةَ عـلى المـؤمـنـينَ وجـلـيـلَ نعمهِ عليهم

(1) العكبري، التبيان: 1/145.

حَمْلِ الآيةِ على هذا التَّمثيلِ لمقابلةِ النِّعمتَيْنِ المحسُوستَيْنِ اللَّتَيْنِ امْتنَّ اللهُ بهما عليهم، وهما: نعمةُ الأُخُوَّةِ بعدَ العداوة، ونعمةُ السَّلامةِ بعدَ الخَطَر.

ويمكنُ أنْ يُرادَ بالنَّارِ هنا: نارُ جهنَّم، فعندئذٍ يكونُ قولُهُ: ﴿شَفَا حُفْرَةٍ﴾ مُستعارًا للاقْترابِ اسْتعارةَ المحسوسِ للمعقول[1]، والنَّارُ حقيقة.

ويمكنُ أنْ يكونَ المعنَى الأوّلُ أظهرَ؛ لأنَّ قوله: ﴿حُفْرَةٍ﴾ لا يُعطي دَلالة قويَّة لمصداقيَّةِ ذاكَ العالَم العظيم - وهو جهنَّم - الَّذي أُعِدَّ للعذاب[2].

ولكنْ يمكنُ أنْ يكونَ قولُهُ: ﴿حُفْرَةٍ﴾ تقريبًا لأَذْهانهم بما يَطولُهُ تَصوُّرُهم، ويقعُ تحتَ أبصارِهم، فيكونُ حملُ المعنى المرادِ على الوجهَيْنِ السَّابقَيْنِ أوْلى؛ إذْ لا تَعارُضَ بينَهما حينَئذٍ.

"وقولُه: ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ صفةٌ لـ ﴿حُفْرَةٍ﴾، و﴿مِّنَ﴾ للتَّبعيض، والضَّميرُ في ﴿مِّنْهَا﴾ للنَّارِ أو للحُفرةِ أو للشَّفا"[3].

"والتَّأنيثُ للمضاف إليه، أو لأنَّه بمعنَى: الشَّفَة؛ لأنَّ شَفا البئرِ وشِفَّتَها جانبها، كالجانبِ والجانِبَة، وأصلُه: شَفَوَ، قُلبَتِ الواوُ ألفًا في المذكَّر، وحُذِفتْ في المؤنَّث.

وقولُهُ تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ إشارةٌ إلى مصدرِ الفعلِ الَّذي بعدَه، وما فيه من معنَى البُعدِ للإيذانِ بعُلُوِّ درجةِ المُشارِ إليهم وبُعْدِ مَنْزِلته في الفَضْل، وكمالِ تَميُّزِه به عمَّا عداه، وانْتظامِه بسببِه في سِلْكِ الأمورِ المُشَاهَدَة.

والكافُ في ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مُقْحَمَةٌ لتأكيدِ ما أفادَه اسمُ الإشارةِ من الفَخامَة، ومَحَلُّها النَّصبُ على أنَّها صفةٌ لمصدرٍ محذوف، أي: مثلُ ذلكَ التَّبيينُ الواضِح"[4]، ويمكن أن تكون الكاف للتَّشبيه على تقدير، أي: يفعل ذلك كما يبيِّن آياته.

---

(1) الاستعارة: تعليقُ العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللُّغة على جهة النقل للإنابة، ويمكن كذلك بيانها بأنَّها جعلُ الشيَّءِ الشيَّءَ لأجل المبالغة في التَّشبيه، ولمَّا كان مبنَى الاستعارة على التَّشبيه، فهي تتنوَّعُ إلى خمسةِ أنواع، تنوَّع التَّشبيه إليها: ومن هذه الأنواع ما ورد مُبيَّنًا في المتن، وهو استعارةُ محسوسٍ لمعقول على الوجهِ الَّذي ذكر فيه، ومن أمثلة ما يقوِّي جلاء هذا النَّوع قولُه تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ﴾ [الأنبياء: 18]، فأصلُ اسْتعمالِ القَذْفِ والدَّمغِ في الأجسام، ثمَّ اسْتعيرَ القذفُ لإيراد الحقِّ على الباطل، والدَّمغُ لإذهاب الباطل، فالمستعارُ منه حِسِّيٌّ، والمستعارُ له عقليٌّ، ينظر: السَّكاكي، مفتاح العلوم: 1/493، 500.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/34 - 35.

(3) العكبري، الإملاء: 1/145.

(4) أبو السُّعود، إرشاد العقل السليم: 1/527.

وقولُه تعالى: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ البيانُ هنا بمعنَى: الإظهارِ والإيْضاح، والآياتُ يجوزُ أن يُرادَ بها النِّعمُ الواردةُ في الآيةِ على وجهِ الخُصوص، أوِ النِّعمُ على وجه العُموم.

ويجوزُ أن يُرادَ بها دلائلُ عنايتِه تعالى بهم وإنارةِ عقولِهم وقلوبِهم بأنوارِ المعارفِ الإلهيَّة، وأن يرادَ بها آياتُ القرآنِ، فإنَّه غايةٌ في الإفصاحِ عن المَقاصِد، وإبلاغِ المعاني إلى الأذْهان، وإضافة الهداية إلى اللّه إضافة تشريف.

وقولُه تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ طلبًا لثباتِكم على الهدَى الَّذي وفقكم اللّه إليه، وازديادِكم فيه[1]، والجملة استئناف بيانيٌّ؛ لأنَّها جملة تعليليَّة، جواب عن سؤال مقدَّر: لم يفعل هذا؟ لعلَّكم تهتدون.

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الحَبْل والعَهْد:

دَلالةُ الحَبْلِ أوسعُ وأشملُ من دَلالةِ العَهْد

عند قوله تعالى: ﴿بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾: "العَهْدُ: حفظُ الشَّيءِ ومراعاتُه حالًا بعدَ حال، قالَ تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾ [الإسراء: 34]، أي: أَوْفُوا بحفظِ الأَيْمان.

ويُقالُ: عَهِدَ فُلانٌ إلى فُلانٍ يَعْهَدُ، أي: أَلْقى إليه العَهْدَ، وأَوْصاهُ بحفظِه، كما قالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ﴾ [طه: 115]»[2].

وبالنَّظَرِ فيما تقدَّمَ من بيانِ معنَى (الحَبْل) في شَرْحُ المُفْرَداتِ: يظهرُ أنَّ (الحَبْلَ) أَوْفَى بالسِّياق من (العَهْد) ذلك أنَّ الحبلَ هو ما يُتوصَّل به إلى اللّهِ تعالى من القرآنِ والعقلِ وكلِّ عملٍ يُفْضي إلى مرضاةِ اللّه، والوفاءُ بالعَهْدِ: هو أحدُ الأسبابِ والسُّبُلِ المُوصِلَةِ إلى مَرْضاةِ اللّه.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/36.
(2) الرَّاغب، المفردات: (عهد).

كلمةُ (شَفَا) تُستخدَمُ لكلِّ ما يُوافِي الشَّيءَ، ويُقارِبُ الوُلوجَ فيه، وليس كذلكَ كلمةُ (حَرْف)

شفا وحَرْف:

عند قوله تعالى: ﴿شَفَا حُفْرَةٍ﴾: "حَرْفُ الشَّيءِ: طَرَفُهُ، وجمعُهُ: أَحْرُفٌ وحُروفٌ، يُقالُ: حَرْفُ السَّيْف، وحَرْفُ السَّفينة، وحَرْفُ الجَبَل، وحُروفُ الهِجاء: أَطْرافُ الكَلِمة"(1).

أمَّا كلمة ﴿شَفَا﴾؛ فهي - مع ما تَعنيه من إفادةِ معنَى حَرْفِ الشَّيء وطَرَفِه - تُفيد الإشرافَ على دخولِ الشَّيءِ أوِ الوقوعِ فيه، فَشَفَا المرَضِ: موافاةُ شَفَا السَّلامةِ منه، أي: قُربُها، ومنه سُمِّي الشِّفاءُ من المرض، وصار اسْمًا للبُرْء.

(أَلَّفَ) و(جَمَعَ):

"الجَمْعُ: ضَمُّ الشَّيءِ بتقريبِ بَعْضِه من بَعْض، يُقالُ: جَمَعْتُه، فاجْتَمع، قالَ تعالى: ﴿جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢﴾ [الهُمَزة: 2]»(2)، وأمَّا أَلَّفَ؛ فهي من الإِلْف: وهو اجْتماعٌ مع الْتِئام، أي: مع وُجودِ الأُلْفَة"(3).

وهذا المعنَى يُناسبُ سياقَ الآيةِ، فإنَّ ما خلقَه اللهُ تعالى في قُلوبِ المؤمنين من الأُلفةِ والمحبّة، لا يُعبَّرُ عنه بمجَرَّدِ الجَمْعِ أو الاجْتماع.

فليس كُلُّ جَمْعٍ أَوِ اجْتماعٍ قائمًا على معنَى الأُلفة والمحبَّة.

(أَنْقَذَكم) و(خَلَّصَكم) و(نَجَّاكم):

"يُقالُ: خلَّصْتُه فَخَلَصَ، وهو إزالُ الشَّوْبِ من الشَّيءِ بعدَ أنْ كانَ فيه، فيُقالُ عنه: الخالِصُ، وأمَّا لو لم يكنْ فيه شَوْبٌ؛ فيُسمَّى الصَّافي"(4).

وأمَّا النَّجاءُ؛ فالانْفصالُ من الشَّيء، ومنه: نَجا فُلانٌ من فُلانٍ، وأَنْجيْتُه ونَجَّيْتُه، قالَ تعالى: ﴿وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [النَّمل: 53]."(5).

(1) الرَّاغب، المفردات: (حرف).
(2) الرَّاغب، المفردات: (جمع).
(3) الرَّاغب، المفردات: (ألف).
(4) الرَّاغب، المفردات: (خلص).
(5) الرَّاغب، المفردات: (نجو).

وتقدَّمَ معنَى (الإنقاذ) في شرحِ المفردات، وتبيَّن أنَّه: التَّخليصُ من وَرْطَة.

وسياقُ النَّصِّ القرآنيِّ يُخبرُنا عن إنقاذِ اللهِ تعالى للمؤمنينَ من النَّارِ بعدَ أنْ هَداهمْ للإيمان، وأيُّ وَرْطةٍ أشدُّ وَبالًا وإهلاكًا من النَّار؟ والعياذُ باللهِ منها.

وهذا المعنَى لا يَتوافرُ في كَلِمتي (خلَّصكم) و(نجَّاكم)، على وَجْه اللُّزوم، كما في معنَى (أَنْقذَكم)، فقد يكونُ، وقد لا يكون.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس، سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 5 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-57-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 5 : سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-57-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1170694 بتاريخ 2023/03/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»